الإبداع اللغوي في كلام الإمام علي (عليه السلام)

الأستاذ المساعد الدكتور
ميثم مهدي صالح الحمامي
جامعة الكوفة - كلية التربية الأساسية

المقدمة :

فهذه دراسة في كلام لشخصية من شخصيات العرب التي حظيت باهتمام الدارسين في شتى صنوف المعرفة ، أردت فيها أن تكون لي إسهامة في بيان أسرار تفوق هذا الكلام على كثير من كلام العرب في زمن القرآن وما أحدثه فيهم ، من خلال عرض موجز لثقافة الإمام وما يمكن أن يكون مؤثرا فيه ، معتمدا على أهم الدراسات التي تعرضت لذلك ، فكان هذا ميدانه التمهيد الذي عُنونَ بـ(علي والإبداع)درءا لأية شبهة تُلوّح بأن أسلوب النصوص في ما جمع من كلام الإمام لا يعود إلى سمات زمنه ،ولكي يُترجم الكلام بنحو تطبيقي أَخذَ البحث على عاتقه دراسة كلام الإمام في ثلاثة مستويات ، الأول كان معنيا بالإبداع في الانتقاء الصوتي ، والثاني تخصص في بيان دقة الإمام في اختيار المفردة بما ينسجم مع غرضه ، وكانت محطة البحث الثالثة في التراكيب وما تميزت به الجملة في كلامه ، أعقبتُ ذلك بخاتمة بيّنتُ فيها نتائج الدراسة .

التمهيد (علي والإبداع):

وُصِفَ كلامُ الإمام عليٍ-(عليه السلام)- بأنه دون كلام الله وفوق كلام البشر ومنه تعلم الناس الخطابة والكتابة(١)، لما يمتاز به من روعة التوظيف وبراعة الاستعمال للغة بما تَملكه من طاقات تعبيريّة ، تَكشَّفت أسرارُها عند الإمام علي (عليه السلام) ، ولما ضمنه من المعاني السامية والعظيمة التي نمّت عن من خبر الحياة وعرف النفس الإنسانية بكل تفاصيلها ، كيف لا وهو ربيب أفصح من نطق بالضاد وأحد ألمع خريجي مدرسة القرآن وأعلمهم به بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، باب مدينة العلم المحمدي فقد لازم النبي قبل بعثته وتربّى في حجره وقت أن عصف القحط في أم القرى وعانى أهلُها ويلات العوز المادي فأخذ النبيُّ عَليا من أولاد أبي طالب بعد أن تربى (صلى الله عليه وآله) عندهم ، جاء في تأريخ الطبري

:" مما أنعم الله على علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه كان في حجر النبي (صلى الله عليه وآله)قبل الإسلام "(٢) ، على أن فضل الله على عليّ (عليه السلام) كبير ليس في هذا وحسب فهو وليد الكعبة المشرفة كما هو معلوم وثابت تاريخيا، يقول ابن أبي الحديد عند ذكر بعضٍ من فضائله: " وهذا الفصل لا معنى للإطناب فيه لأنه من المعلومات الضرورية كالعلم بوجود مكة ومصر ونحوهما"(٣) وفي هذا ما يدل على شياع فضائله بين الناس ، فنشأ يستلهم من محمد (صلى الله عليه وآله) صفاته وشمائله وعلومه ، وليس ذاك في عهد قبلِ البعثة فحسب ، بل كان ملازما للنبي بعد البعثة النبويّة المباركة إذ لم يفارق النبيَّ الأكرم فكان له أكثر من ظلّه وحتى في تجلياته وتأملاته في غار حراء وقد ذكر الإمام ذلك في خطبة له يقول فيها : "وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ ص وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ ص فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ فَقَالَ هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ وَلَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ"(٤)، وقال أيضا "وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ"(٥).ولهذا كان الإمام عليٌ (عليه السلام) حافظا للقرآن وآياته في زمن الرسول (صلى الله عليه وآله)واعيا لها ومدركا لأسرار بلاغة النص القرآني وجماله وروعته ، يعرف باطن آيات القرآن مثلما يعرف ظاهرها وهو ما أشار إليه النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)في أحاديثه عن علي وفضله(٦) .يقول ابن أبي الحديد في هذا : "اتفق الكل على أنه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يكن غيره يحفظه، ثم هو أول من جمعه"(٧) ، ومن هنا ندرك أن النص القرآني كان حاضرا في ذهن الإمام(عليه السلام) يستدعيه من ذاكرته حتى كان قوله وسلوكه تعبيرا حقيقيا عن روح القرآن ولغته ،ولهذا يقول الشريف الرضي في الإمام : "كان أمير المؤمنين (عليه السلام) مَشرع الفصاحة ومَوردها ، ومَنشأ البلاغة ومولدها ، ومنه (عليه السلام) ظهر مكنونها ، وعنه أخذت قوانينها ، وعلى أمثلته حذا كلُّ قائل خطيب ، وبكلامه استعان كلّ واعظ بليغ"(٨) ، وقال أيضا :" وأما كلامه (عليه السلام) فهو البحر الذي لا يساجل ، والجم الذي لا يحافل"(٩)، يقول الجاحظ في حكمة من حكم أمير المؤمنين وهي " قيمة كل امرئ ما يحسن"(١٠) ، : " فلو لم نَقف من هذا الكتاب إلاّ على هذه الكلمة لوجدْناها شافيةً كافية، ومجزئة مغْنِية؛ بل لوَجدناها فاضلةً عن الكفاية، وغيرَ

مقصِّرة عن الغاية"(١١)، وقال الرضي فيها "وهذه الكلمة التي لا تصاب لها قيمة ولا توزن بها حكمة ولا تقرن إليها كلمة"(١٢) ومن ما تقدم ندرك مدى انغماسه بروح الدين المحمدي وانغماس ذاك الدين به ، لذلك انفرد الإمام علي بهذه السمة من سواه ممن صاحب النبي أو عاصره ، إذ اتفق المسلمون على أنه ما سجد لصنم قط ، فكانت روحه متهيِّئة لقبول الدين الجديد الذي ناغم تطلّعاته وما تهفو إليه روحه الزاكية ، ومن هنا نُدرك أنه قد تَشّرب مبادئ الدين من دون عناد أو لجاجة ، فأخذت هذه المعاني الجديدة المقبولة لديه طريقها إلى نفسه ، فاعتادها وانتهجها في تفاصيل حياته كلها وفي فكره .

وليس ذاك فحسب بل كان يسعى إلى وجوب إحلال الثقافة القرآنية في النفوس ، لتتربى عليها وتتشرب بها سلوكا وعملا ، بل لتتمثلها في البناء اللغوي أسلوبا ومعاني ، هاجرةً النهج الجاهلي إلى آخر جديد ينسجم مع الحياة الكريمة التي جاء بها الإسلام العظيم ، فقد ذكرتْ لنا كتب التأريخ أنه كان (عليه السلام) يربّي أصحابه على إحلال الثقافة القرآنية في المواقف جميعها وذلك حينما سار بجيشه إلى صفين ومر بمدينة تدعى بهرسير ، فحينما تغنى أحد أصحابه بأبيات لشاعر جاهلي نصحه الإمام بأسلوبه المعروف قائلا له :" أفلا قلت : ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (١٣) إن هؤلاء كانوا وارثين فأصبحوا مورثين ، ولم يشكروا النعمة ، فسلبوا دنياهم بالمعصية ، إياكم وكفر النعم لا تحل بكم النقم ، انزلوا بهذه النجوة "(١٤)، ولهذا فإن القارئ لكلام الإمام يجده قد تشرّب بالثقافة القرآنية ونأى عن ثقافة الشعر الجاهلي ، فلا تجد مساحة تذكر للشعر الجاهلي في خطبه ورسائله وعموم أقواله سوى بعض أبيات من الحكم التي سارت سير الأمثال بين الناس ، فهو لا يتعدى أن يكون ابن بيئته العربية(١٥)، وهذه القلة إنما نؤشرها قياسا بغزارة نتاجه القولي وسعته ، ومقارنة مع ما اعتادته العرب من تضمين أو استشهاد بالشعر .

وبذا نستطيع أن نتلمس شيئا من أسرار إبداع الإمام وتميزه في كلامه الذي كان موضع إعجاب الناس من محبيه وغيرهم ، فقد كان للأثر الحقيقي المبكّر للقرآن في الكلام العربي على لسان علي (عليه السلام)السبب الأكبر في إبداعه فما وصلنا من كلامه

المجموع في (نهج البلاغة) يُعد من أظهر تجليات الأثر القرآني في الأدب العربي لسبب واضح هو أن المعاني الإسلامية ذائبة في نفس علي (عليه السلام) وهي بعدُ جديدة على غيره ، لكنه كان قد أدركها منذ بدايات أن هبت نسائم الوحي وبشائر النبوة . فإذا ما علمنا أن الإبداع يتجسد في توافر العناصر الأساسية للإبداع(١٦) وهي : الإحساس بالشيء ((صدق التجربة الشعورية)) ، والاستعداد الفطري لتصويره ((الموهبة)) ، وسعة ثقافة المنشئ وعمق تفكيره وإنسانية نزعته فضلا عن تمكنه من اللغة ((ألفاظا ومعاني وأدوات تأثيرية)) ، فكلما أحسن المنشئ في جمع هذه العناصر بعضها ببعض بحسن ولمسة فن ، كان مقدار إجادته للكلام ، وقد جمع عليٌ ذلك في أقواله وخطبه ، ولهذا يمكن أن نوجز عوامل هذا الإبداع والتميّز بما يأتي وبحسب من درس(١٧) هذه الشخصية العملاقة :

- لم تكن روحه قد أصابها درن العقائد الإلحادية أو غير العقيدة التوحيدية من قبلُ، فتقبّلت الإسلام بلهفة وإخلاص .
- تربّى فتى بني هاشم في بيوت الفصاحة والبلاغة وفي قبيلة الفصاحة والبلاغة ، وفي كنف أفصح من نطق بالضاد ، فتعلم خصاله وشمائله واكتسب من منطقه ما اكتسب ، فقد كان للأثر النبوي ظهور بيّن في كلامه ، كما خَبِرَ الإمام علي التراث العربي ووعاه فأخذ منه اليسر مما تتطلبه دواعي القول لديه واكتفى بالنبع الذي لا ينضب ألا وهو القرآن الكريم .
- تَتلْمذ في أعظم مدرسة في التأريخ (مدرسة القرآن) ،والقرآن الكريم كان في ضميره وسلوكه، وعى معانيه وأدرك أسراره ، وكان من السبّاقين إلى حفظه وجمعه ، أثر ذلك بكلام الإمام بشكل واضح وكبير .
- المواقف والتجارب التي مرت به فجعلته خبيرا بالدنيا وأهلها ، فلا تجد أبرع منه في توصيف دقائق الأمور وأعاظمها ..... أمور لم تجتمع فيغيره جعلته المُفوّه الذي لا يُجارى والخطيبَ الذي لا يُشق له غُبار.

ولا نريد أن نطيل الحديث في هذا بالرغم من عذوبته كي لا نتيه في أسرار هذه الشخصية التي لم يشهد الوجود الإنساني نظيرا لها بعد النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، ونريد أن نعرض بعضا من لآلئ الإمام في جميل أقواله وكلها جميلة كما يذكر شارح نهجه : "

وأنت إذا تأملت نهج البلاغة وجدته كله ماء واحدا و نفسا واحدا و أسلوبا واحدا كالجسم البسيط الذي ليس بعض من أبعاضه مخالفا لباقي الأبعاض في الماهية و كالقرآن العزيز أوله كأوسطه و أوسطه كآخره و كل سورة منه و كل آية مماثلة في المأخذ و المذهب و الفن و الطريق و النظم لباقي الآيات و السور"(١٨) . جاعلين ذلك في مستويات عدة بحسب ما عرف للغة من مستويات والله الموفق والمستعان .

المبحث الأول

الإبداع في الانتقاء الصوتي

إن الألفاظ التي يطلقها الإنسان هي كما يُعبَّر عنها أصوات ذات جرس(١٩)،ولها دلالةعنداجتماعها في بنية ، ولهذا اتخذناها وسيلة للتعبير عن المعاني أو الخواطر التي تجول بأذهاننا(٢٠).

وللألفاظ وأصواتها أثرٌ واضحٌ في إنشاء الدلالة ، من خلال ما يُثيره بعضُها من إيحاءٍ وتخيلٍ في ذهنِ السامع . فقد تثير اللفظةُ إلى جانب دلالتها الوضعية دلالاتٍ جانبيةً يكون لها وقعٌ كبيرٌ عند السامع ، منفردةً أو متآلفةً مع الألفاظِ الأخرى(٢١).

وقد تنبه القدماء إلى الدلالة الصوتية ، وأقرّوا بأثرها في استدعاء المعنى والإيحاء به ، و"إن لم يحددوا للإفصاح عنه عبارة كالتي نستخدمها في عصرنا الحاضر"(٢٢)، فقد ذكروا ذلك في حديثهم عن فصاحة اللفظة المفردة ، فوصفوها بالجزالة والسلاسة ، والطلاوة وغير ذلك من الأوصاف ، حيث وجدوا أن في الألفاظ قيما تأثيرية جمالية ، ترتبط بجَرْسِ الكلمات مفردةً ومركبةً ، فتكون الألفاظ في ذاتها حسنةً وتكون قبيحةً ، وقد جعلوا الذوقَ والحسَّ المرهفَ فيصلا في استجلاء هذا الحسنِ والقبحِ . قال أبو هلال العسكري : "وشهدت قوما يذهبون إلى إن الكلام لا يسمى فصيحا حتى يجمع من هذه النعوت فخامة وشدة وجزالة" (٢٣).

لقد اهتم العلماء قديما بضبط بناء الألفاظ ، لما تتميز به الألفاظ في بنائها اللغوي بضرب من التأليف في النغم ، وذلك من خلال انسجامها الصوتي الذي يكون نتيجة لتلاؤم أجراس الحروف في اللفظة الواحدة ، وتلاؤم اللفظة مع أخواتها في السياق ، وكان الضابط في هذا هو الحسّ ، قال الرماني : "وأما الحسن بتأليف الحروف المتلائمة ، فهو مدرك بالحسّ ، وموجود في اللفظ ، فان الخروج من الفاء إلى اللام ، أعدل من

الخروج من اللام إلى الهمزة ، لبعد الهمزة من اللام"(٢٤)، وقال أيضا : " والفائدة من التلاؤم حسن الكلام في السمع ، وسهولته في اللفظ ، وتقبل المعنى له في النفس ، لما يرد عليها من حسن الصورة ، وطريق الدلالة"(٢٥)، وكان ابن سنان الخفاجي في حديثه عن فصاحة اللفظة ، يرى أن من الواجب أن يكون تأليف اللفظة من حروف متباعدة المخارج(٢٦)، وان يراعى ترتيب الأصوات في تأليف اللفظة وانسجامها(٢٧). وقد وافقه العلوي في ذلك(٢٨)، ولهذا فإن " فصاحة الكلمة وقيمتها الذاتية ، تكتسب أهميتها من الطبيعة النغمية لأصواتها ، من خلال الانسجام الصوتي الناتج من تآلف أصواتها ، وكذلك تكتسب الكلمة أهميتها من خلال اتساقها وتلاؤمها مع سائر الألفاظ الأخرى في السياق ، فتكسب الكلام نغما وموسيقى تهش له النفوس ، وتصغي له الأسماع "(٢٩).

إن الانسجام الصوتي والنغمي في الكلام الأدبي نتيجة لأحد أمرين أو لهما معا ،الأول : الموسيقى النابعة من تآلف أصوات الحروف في اللفظة الواحدة ، لأن الحروف أصوات متفاوتة الجرس ، يقرع بعضها بعضا حين تجتمع في اللفظ ، وينتج عن تناغم قرعها سلم موسيقي جميل ، يوحي إلى الأذهان بالمعنى الذي تدل عليه الألفاظ وبمراد المتكلم بنحو دقيق ، والآخر هو الموسيقى النابعة من تآلف مجموعات الموسيقى اللفظية حين ينتظمها التركيب في الفقرات والجمل ، فالألفاظ المفردة تقرع الألفاظ المفردة المجاورة لها سابقا ولاحقا ، وينجم عن تناسق تقارعها سلالم موسيقية جميلة، لها أثر كبير في انسجامها مع الحدث أو المشهد الذي يدور الكلام حوله . إذإن هذا التناغم الصوتي بين الألفاظ المفردة والمركبة ، لا تتم جماليته الموسيقية ،إلا بتمام التناسق بين صوت اللفظ ودلالة محتواه. فالكلمة تحمل إلى جانب جرسها ووقعها في الأذن وحركة اللسان بها ، إيحاء بالمعنى وظلاله وموسيقاه(٣٠).

والقارئ لكلام الإمام يدرك أن كلماته تتصف فضلا عن دقتها في التعبير عن المعنى بالانسجام الصوتي الذي يضفي جرسا موسيقيا يخلق حالا من الاتساق والتناغم الموسيقي لها ، فهي تجيء خفيفة على اللسان ، لذيذة الوقع في الآذان ، موافقة لحركات النفس ، مطابقة للعاطفة التي أزجتها أو للفكرة التي أملتها فإذا "كانت النصوص المبدعة هي التي تفصح عما انطوت عليه اللفظة من دلالات وإيحاءات بجرسها وموسيقى

أصواتها ، فان نهج البلاغة من أبرز النصوص التي توافرت على عناصر موسيقية كان لها الدور الكبير في استجلاء الدلالات التي أراد الإمام علي (عليه السلام)الإفصاح عنها"(٣١).

ففي التجانس نقرأ قول الإمام علي (عليه السلام) في وصف الفتنة : "وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاحِرِ الشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ ، وَالاعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ " (٣٢) ، حيث استعمل مداحر وهي صيغة منتهى الجموع وما في هذه اللفظة من انسجام بين أصواتها فالدال صوت انفجاري متبوع بصائت طويل ، ثم أردف بالحاء صوت حلقي صامت يوحي بحركة دحر الشيطان بالتعاضد مع صوت الراء الذي يضفي طاقة إيحائية تنسجم مع دلالة المفردة في دحر الشيطان تباعا ، وهي لفظة منسجمة مع ما بعدها (مزاجره)، وانظر في لفظتي (حبائل ،مخاتل) هذه الجموع قد جاءت مؤتلفة منسجمة صوتيا بما يخدم المعنى الذي أراده الإمام. ثم يقول بعد ذلك من الخطبة ذاتها :" وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَنَجِيبُهُ وَصَفْوَتُهُ لَا يُؤَازَى فَضْلُهُ وَلَا يُجْبَرُ فَقْدُهُ" نلحظ الانسجام الصوتي في مقاطع الفعلين (يوازى ، يجبر) ،وكذا في الاسمين (فضل، فقد) ، وهذا ما نجده في هذه الخطبة عند قوله : " تَبْدَأُ فِي مَدَارِجَ خَفِيَّةٍ وَتَئُولُ إِلَى فَظَاعَةٍ جَلِيَّةٍ " سيما في لفظتي (خفية وجلية) ، بعدها يقول :" ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف ، والقاصمة الزحوف"، نلحظ ان كلمتي (الرجوف) و(الزحوف) وما فيهما "من دلالة إيحائية ناتجة عن موسيقى أصواتهما ، تجعلان السامع يتخيل مدى ضراوة هذه الفتنة وشدتها ، وما سيصاحبها من أحداث مهولة . فصوت (الراء) المكرر المجهور مع (الجيم) المجهور الشديد في كلمة (الرجوف) مضافا إليهما صوت (الزاي) الصفيري في كلمة (الزحوف) هذه الأصوات توحي بجرسها العنيف إلى ما في هذه الفتنة من الشدة والغلظة والعنف (٣٣).وهو يصفها بعد ذلك : "... مرعادمبراق ، كاشفة عن ساق .. "(٣٤)، وما في كلمتي مرعادومبراق من دلالة صوتية توحي بمراد المنشئ.

ومثله ما قاله (عليه السلام) يصف قدرة الله سبحانه في عجيب صنعه الكون : " وَكَانَ مِنِ اقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ وَبَدِيعِ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّاخِرِ الْمُتَرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ يَبَساً جَامِداً ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقاً فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْدَ ارْتِتَاقِهَا فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ وَقَامَتْ عَلَى حَدِّهِ ..... "(٣٥).فأنظر إلى كلمة (المتقاصف) وما فيها من موسيقى ،

أحدثها جرس أصوات الكلمة ، إذ تُوحي نغماتُ الكلمة بحال الماء الهائج عندما يصطدم بالصخور ، وما يُحدث منصوت ،(٣٦)، حتى يقول :" فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوَجَانِ مِيَاهِهَا وَأَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا ..... تُكَرْكِرُهُ الرِّيَاحُ الْعَوَاصِفُ وَتَمْخُضُهُ الْغَمَامُ الذَّوَارِفُ إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشى " (٣٧) ، فانظر إلى هذا الانسجام الصوتي والتآلف اللفظي الذي أحدثه الإمام في الكلمات (سبحان ، موجان) ، والفعل (تكركر) وما فيه من إيحاء صوتي أحدثه حرف الراء المكرر الشديد ، والراء الذي هو حرف تكرير فضلا على تكرره ، لينسجم ذلك مع دلالته هنا .

ومن مواطن الإبداع في كلامه (عليه السلام) في ذاك التجانس الصوتي والشكلي للألفاظ في قوله : " أَضْرَعَ اللَّهُ خُدُودَكُمْ وَأَتْعَسَ جُدُودَكُمْ لَا تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ الْبَاطِلَ وَلَا تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَإِبْطَالِكُمُ الْحَقَّ"(٣٨)، نجده قد استعمل الأفعال (أضرع وأتعس) بما يتطلبه المعنى ابتداء وما يُحدث من جرس متزن في النص ثانيا ، ثم انظر إلى لفظتي (خدود، وجدود) المتشابهتين رسما ونطقا ، كيف أحدثتا نغما صوتيا داخل النص .

ومن التجانس الصوتي في كلام الإمام وما يخلقه من إيحاءات تتطابق مع المعنى إلى حد كبير يجعل السامع يعيش الأجواء التي أراد المنشئ أن يخلقها فيه ، ما جاء في اختيار الإمام علي (عليه السلام) وانتقائه للألفاظ ذات الإيحاء النفسي والوقع الخاص في كثير من المواضع في نهج البلاغة ، قال واصفا قدرة الباري عز وجل : " فمن شواهد خلقه ، خلق السماوات موطَدات بلا عمد قائمات بلا سند ، دعاهن فاجبن طائعات مذعنات ، غير متلكئات ولا مبطئات"(٣٩)، نلحظ في النص جوا إيحائيا جاء نتيجة لهذا التكرار الملحوظ لصوت (الطاء) وصوت المد (الألف) الذي يوحي بجرسه الطويل إلى العظمة والسمو والارتفاع ، لأن اجتماع هذه الأصوات في هذا السياق يعطي النص إيحاء بالخضوع والطاعة المطلقة لله جل وعلا . فضلا عن الانسجام الصوتي المتواجد في النص(٤٠)، والاستغلال الأمثل لطاقة التعبير الإيحائية التي ولدها وجود الألف والتاء معا في ست كلمات تتالت محدثة جوا يبعث على خلق صورة من الطواعية والمثول أمام أمره جلت قدرته .

ومن كلامه (عليه السلام) يصف فيه الموت : " ألا فاذكروا هادم اللذات ، ومنغّص الشهوات ، وقاطع الأمنيات ، عند المساورة للأعمال القبيحة "(٤١)، وقال (عليه السلام)

واصفا الموت أيضا : " فان الموت هادم لذاتكم ، ومكدّر شهواتكم ، ومباعد طيّاتكم ، زائر غير محبوب ، وقرن غير مغلوب ، وواتر غير مطلوب "(٤٢)، إذ يلمح في النص الاختيار الدقيق للألفاظ ذات الإيحاء النفسي المؤثر والوقع الخاص ، فكل لفظة ارتبطت بدلالة إيحائية خاصة عند الفرد ، من خلال جرسها الصوتي ، حيث يوافر هذا التكرار الملحوظ لصوت المد (الألف) جوا موسيقيا هادئا تذعن له القلوب ، وتخشع له النفوس ، علاوة على تكرار صوتي (الدال) ، و(الباء) اللذين يفزعان السمع بجرسهما القوي ، هذه الأصوات مجتمعة خلقت مناخا تخييليا يحمل السامع على تصور حالة الإنسان عندما يحل به الموت ، فهو كالنائم الذي أيقظه صوت شديد نقر سمعه ، فجعله يستيقظ من أحلامه ويواجه الواقع (٤٣).

إن انتقاء الألفاظ الموحية التي تعبر عن المعنى الذاتي والتجربة الشعورية ، هو من أهم الأشياء التي تميز الفن الأدبي الناجح ، فلجمال اللفظة وتقبل النفس لها علاقة وثيقة بجرسها وما تحمله من دلالة إيحائية مؤثرة(٤٤)، إذ إن الموسيقى اللفظية الناتجة من تموّجات الأصوات ومقدار ترددها في النص ، هي بلا شك أفضل وسائل الانتفاع بالأصوات في فن الأدب . ولان هذا الانسجام الصوتي هو أكبر عامل في الإيحاء بذلك الجزء من العاطفة والشعور الذي لا يمكن أن تحيى التجارب الأدبية بدونه(٤٥)، حيث "أن الموسيقى تلازم التعبير العاطفي ، وكلما ابتعد النثر عن روح العاطفة ضعف حظه الموسيقي "(٤٦).

ولقد جاء كلام الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة متوافرا على عاطفة مشبوبة ، فالإمام في نهجه يصدر عن رؤية كونية شاملة محاورها ثلاث موضوعات لا انفصال عنها ، هي الله والعالم والإنسان ، وقد بدا الإمام في صياغتها منفعلا صادقا ، لما انطوت عليه نفسه من معرفة حقة لهذه المحاور(٤٧)، يقول الأستاذ صبحي الصالح : "وأما عاطفة علي فثائرة جياشة تستمد دوافعها من نفسه الغنية بالانفعالات ، وعقيدته الثابتة على الحق ، فما تكلم إلا وبه حاجة إلى الكلام ، وما خطب إلا ولديه باعث على الخطابة ، وإنما تتجلى رهافة حسه في استعماله الألفاظ الحادة ... بترادف بين الفقرات وتجانس بين الأسجاع ، وحرص واضح على النغم والإيقاع " (٤٨).

لقد اعتمد الإمام في خلق هذا الزخم الموسيقي والانسجام الصوتي المتناغم مع الموضوعات التي تحدث عنها على أمور سيذكرها البحث سريعا وقد نوفق لذكرها في دراسات أخر تفصيلا وبشواهد كلامه الذي تطيب النفس بقراءته وتمعنه ، اختصارا ومراعاة للمقام :

- الجناس .
- التوازن .
- التكرار .
- السجع .
- المقابلة والطباق .

المبحث الثاني

دقة اختيار المفردة:

على هذا الصعيد يجد القارئ في كلام الإمام أنه (عليه السلام) قد كانت له استعمالات دقيقة للمفردات حفلت بزخم إيحائي كبير ينسجم والمعاني التي أرادها في خطبه وأقواله ، ومن خلال تتبع نصوص نهج البلاغة الثرة ، وجد البحث استعمالات تكاد تكون غريبة أو نادرة أو قليلة الاستعمال لكنها موجودة عند الإمام ، وإذا أريد للقول أن يكون أكثر موضوعية فلنقل دقيقة غاية في الدقة بما يطلبه المعنى ويحقق الهدف عند المنشئ ، ويمكننا سلفا القول بأن الإمام كان يهدف إلى تحقيق غايات تعبيرية من وراء هذه المفردات ، وهي :

- النوعية .
- الهيأة .
- التكثير والمبالغة .
- التوازن .

النوعية :وردت في نهج البلاغة مجموعة من المصادر نادرة الاستعمال لفظا ومعنى، حملت دلالة النوع والتميز في سياق التعبير، نحو قوله (عليه السلام) يصف الدنيا ويحذر منها : " وَأُحَذِّرُكُمُ اَلدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ وَ لَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا" (٤٩). فقد استعمل الإمام (قُلْعَةٍ و نُجْعَةٍ)وهما على صيغة (فُعلة)، و(فُعلة) بضم الفاء

وسكون العين ، تأتي مصدرا للفعل الثلاثي إذا دلّ على لون وكان صحيحا فتقول حمرة ، وخضرة ، وزرقة ، في حمر وخضر وزرق(٥٠). وقد ذكر اللغويون معاني أخر لهذه الصيغة منها أنها تدل على العيب وهو قليل(٥١)، والفضلة من الشيء ، وموضع الفعل من الجسد (٥٢) ، ويرى الرضي أن فعلة بسكون العين جاءت كثيرا بمعنى المفعول والفاعل، وكلاهما للمبالغة(٥٣).

والمعنى أن الإمام صور الدنيا بالمنزل الذي لا يستقر بأهله ولا يثبت ، فما إن يحل به النازلون حتى يقلع بهم فهو " ليس بمستوطن كأنه يقلع ساكنه " (٥٤).إنه – إذن- ليس كأي منزل مما عرفه الناس من حيث الاستقرار والأمن والثبات ، بل نوع خاص مميز من المنازل ينطبق أيّما انطباق على صفات الدنيا الموسومة بسمات هذا المنزل الذي ذكره الإمام ، يقول ابن أبي الحديد : " قوله (عليه السلام) فإنها منزل قلعة بضم القاف وسكون اللام أي ليست بمستوطنة و يقال هذا مجلس قلعة إذا كان صاحبه يحتاج إلى أن يقوم مرة بعد مرة ويقال هم على قلعة أي على رحلة ومن هذا الباب قولهم فلان قلعة إذا كان ينقلع عن سرجه ولا يثبت في البطش والصراع والقلعة أيضا المال العارية وفي الحديث بئس المال القلعة "(٥٥).

وأصل القلعة "النخلة التي تُجْتَثُّ من أَصلها قَلْعاً أَو قَطعاً عن أَبي حنيفة وقُلِعَ الوالي قَلْعاً وقُلْعةً فانْقَلَعَ عُزِلَ والمَقْلُوعُ الأَميرُ المَعْزُولُ والدنيا دار قُلْعَةٍ أَي انْقِلاعٍ ومنزلنا منزل قُلْعَةٍ بالضم أَي لا نملكه ومجلس قُلْعَةٍ إِذا كان صاحبه يحتاج إِلى أَن يقوم مرة بعد مرة وهذا منزل قُلْعةٍ أَي ليس بِمُسْتَوْطَنٍ ويقال هم على قُلْعةٍ أَي على رِحْلةٍ"(٥٦).

وكذا الأمر في لفظة (النجعة) حين قيد بها (الدار) أي لا يطلب المراد منها ، فالنجعة طلب الكلأ من موضعه(٥٧). وهذا ملمح جديد وجميل لان الإنسان يغادرها عنوة .

وفيما تقدم نقول : لما كان مبدأ عدم بقاء الدنيا وزوالها من المعاني الإسلامية الجديدة على العرب، فإننا لم نجدهم قد وصفوا الدنيا بأنها قلعة، وإنما وصفوا الأماكن بذلك، وقد نقل الإمام هذه الصفة إلى الدنيا مرتجلا لها بما سمت له قريحته الصافية وتعمق فكره بالمعاني الإسلامية الجديدة على العرب، وندر أن توصف الدنيا ذما بالقلعة، مبالغة في صفة زوالها وعدم بقاء الإنسان فيها.

ويبدو أن ثمة دواع لاستعمال الإمام لهذه الصيغة منها :

١- اختزال المعاني والصور للحياة الدنيا بهذه الصيغة المعروفة عند العرب ولكنه نقلها لوصف الدنيا ، وهذه الصورة نجدها في توضيح المعنى لهذه الكلمة. لأن للألفاظ خزينا هائلا من التجارب البشرية فهي "كالقماقم أغلقت سداداتها على شحنة من تجارب لا حصر لها اختزنها فيها الإنسان على كر العصور"(٥٨).

٢- أنها أكثر الصيغ انطباقا على حقيقة الدنيا التي هي مرحلة في رحلة الإنسان ورحلة في مرحلة .

٣- اصطباغ الكلام بالصبغة الفنية العَلّية التي أطّردت في كلامه (عليه السلام) وأعني التوازن الإيقاعي، تهيئة للصيغة المماثلة (نُجعة).

٤- التأثر البيّن لكلامه (عليه السلام) بالقرآن الكريم (٥٩)، وهذا " يدل على قوة حضور النص القرآني في ذهن الإمام على (عليه السلام) ، إذ لا يجد صعوبة في التعبير الفني عن أي معنى يشاء ، لأن ما عنده من خزين الصيغ القرآنية يمكنه من تشكيل المعاني الصعبة الجديدة كمعاني التوحيد والعالم الآخر في صور تقريبية لأذهان الناس ، وتلك ميزة انفرد بها الإمام (عليه السلام) ، لأنه يحيى حياة القرآن في أدق معاني هذه الكلمة"(٦٠).

الهيأة :

وهي دلالة ثانية للصيغ النادرة الاستعمال في نهج البلاغة ، وقد جاءت في مواضع قليلة وعلى وزن واحد هو (فِعلة) بكسر الفاء، وصيغة المصدر (فِعلَة) يؤتى بها للهيأة، كقِتلة إذا كانت قتلة سوء أو ما شابه وضِربة وغيرها ، فتكون موصوفة أو دالة على صفة مذكورة أو معلومة بقرينة الحال(٦١).

فيصاغ من الثلاثي المجرد (فِعلَة) مصدرا للهيأة فتقول: (وِقفة ، جِلسة ، رِكبة)(٦٢).

ولا يوجد نظير هذا الوزن للدلالة على الهيأة في جميع اللغات السامية كما يذكر الدارسون.(٦٣)

وجاءت فِعلة صيغة للجمع في ألفاظ سمعت من العرب ، ولعدم اطرادها في الجمع جعلت اسم جمع(٦٤)،نحو شيخ وشيخة ، جار وجيرة ، ثور وثيرة ، وقاع وقيعة.

ومما ورد منها :

لفظة(نبتة، خضمة)

كقوله (عليه السلام): " إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْهِ بَيْنَ نَثِيلِهِومُعْتَلَفِهِ وَ قَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللَّهِ خِضْمَةَ الْإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ " . (٦٥)

والشاهد في استعماله (خضمة و نبتة)، وقد أراد بها الإمام الشكل والهيأة ، لأن السياق صور أحوال هؤلاء المنهومين على السلطة بأنهم يأكلون بنَهم بكل الفم بدلالة الفعل (خضم) التي تعني الأكل بكل الأضراس التي تتناقض مع الفعل (قضم) التي تعني الأكل بأطراف الأسنان، وهو فعل حاد عنه الإمام، لأنه لا يلبي المعنى الذي ينشده في تصوير التكالب على أكل مال المسلمين الذي سماه بمال الله تعبيرا عن شدة حرمته ، وصور طريقة أكله بطريقة أكل البهائم الجائعة لنبتة الربيع بعد شدة القحط. لذلك أسند إلى الخضم الأكل الرطب ، وإلى القضم الأكل اليابس ، لذلك أسند الإمام إلى الخضم لفظة النبتة . كما أن لفظة (نبتة) أوردها الإمام قاصدا بها الهيأة ، وهي ما يتناسب وصورة الإسلام الغض الطري العود ، قال أبو ذر رضي الله عنه: " ..إن بني أمية يخضمون و نقضم و الموعد لله " (٦٦) . وهو مأخوذ من قول النبي ((صلى الله عليه وآله)): ((يخضمون و نقضم و الموعد لله)) (٦٧).

وهكذا نجد أن الإمام قد استغل الألفاظ والصيغ أيما استغلال مفجرا لطاقاتها التعبيرية ليصور دنيء فعل القوم وبشاعته " وما أحسن وألطف تشبيهه (عليه السلام) صنيع بني أمية في مال الله بخضم الإبل أو هضمه نبت الربيع، حيث يستفاد من الخضم أنهم كانوا يأكلون مال الله بملء أفواههم فيفرغون في بطونهم بلا مهلة، إذ نبت الربيع لرقته ولينة لا فصل بين وضعه في الفم وبلعه" (٦٨).

لقد استغل الإمام الطاقة التعبيرية لصيغة فعلة لتعضيد الصورة السابقة لأن خضمة دلت على نوع الخضم وهيأته سيما بعد أن أضيفت إلى ما بعدها ، وكذلك نبتة يستشف منها نوع النبات الربيعي الذي يتصف برقته وطراوته لذا فالحيوان يأكل بكل فيه وكأنه يبتلعه لا يمضغه سيما وأن نبات الربيع جاء بعد أن محلت الأرض من الشتاء إظهارا للهفة. (٦٩)

التكثير والمبالغة

وأعني بها الصيغ القليلة الاستعمال في مصادر الوزن (تفعال) بفتح التاء وأخرى بكسرها ، ومن الأول جاءت في خمسة مصادر (تهمام ، تركاض ، تجوال ، ترحال ، تلعابة) ، ويؤتى بهذه الصيغة المصدرية لتكثير المصدر(٧٠).

قال الإمام (عليه السلام) من خطبة حث فيها على الجهاد وذم المتقاعسين" ... قَاتَلَكُمُ اَللَّهُ لَقَدْ مَلاَتُمْ قَلْبِي قَيْحاً وَ شَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظاً وَ جَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ اَلتَّهْمَامِ أَنْفَاساً.. " (٧١)،وفي اللسان : "الهَمُّ من الحُزْن والهَمُّ مَصْدَرُ هَمَّ الشَّحم يَهُمُّه إذا أَذابَه والهَمُّ مصدر هَمَمْت بالشيء هَمّاً والهِمُّ الشيخ البالي " (٧٢)، ولما كان التهمام بهذه الخطبة بمعنى الهم كما ذكر(٧٣)، فلماذا جاء الإمام بهذه الصيغة ولم يقل نغب الهم ؟، والجواب واضح فيما ذكره أهل اللغة من أن المصدر يؤتى به على هذه الصيغة لغرض التكثير لفعل المصدر لإظهار مقدار الألم الذي ألحقوه بالإمام علي ، ولا ننسى القول أن استعمال هذه الصيغة من المصدر آنف الذكر نادر والمتتبع للمعجم العربي يجد ذلك .

وعلى هذه الصيغة جاء المصدر(تركاض وتجوال) في نهج البلاغة في كتابه إلى أخيه عقيل: " فدع عنك قريشا وخلهم وتركاضهم في الضلال وتجوالهم فيالشقاق))(٧٤)، وقد عدل الإمام إلى هذه الصيغة ليدلل على تكالب القوم وتسابقهم على قتاله ، مستغلا الطاقة التعبيرية لهذه الصيغة ، التي وضح من خلالها كيف تكالب القوم عليه متسارعين ومضطربين في ذلك ، ومذ أن نادى به النبي ((صلى الله عليه وآله)) وليا وإماما ،كل ذلك يُستلهم من صيغة تفعال في البنيتين.

ومما جاء على صيغة تفعال (الترحال) في قوله (عليه السلام): " ألا إنه قد أدبر من الدنيا ما كان مقبلا ، وأقبل منها ما كان مدبرا ، وأزمع الترحال عباد الله الأخيار ، وباعوا قليلا من الدنيا لا يبقى ، بكثير من الآخرة لا يفنى ! " (٧٥)، مشيرا إلى اقتراب الساعة ، وحاضا أهلها على الاستعداد للرحيل إلى دار الآخرة ، ذاماً من تمسك بها وباع قليلها الذي لا يبقى بكثير من الآخرة لا يفنى ،وقد ورد الحديث عن (أزمع الترحال) " أي ثبت عزمهم عليه ، يقال : أزمعت الأمر ، ولا يقال : أزمعت على الأمر ، هكذا يقول الكسائي ، وأجازه الخليل والفراء" (٧٦) .من دون أن نجد حديثا عن المصدر الترحال

ودلالته وطاقته التعبيرية التي تفوق طاقة المصدر الرحيل ، لأن الإمام (عليه السلام) أراد أن يعبر عن رحيل الدنيا بأقصى طاقة تعبيرية ممكنة انسجاما مع ما يناسب المقال .

التوازن :هو سمة ايقاعية في نهج البلاغة يتوخاه التعبير الفني فيه ، ولاسيما حين يأتي نتاجا ثانويا عن المعنى ، نتيجة للشاعرية التي عرف بها الإمام (عليه السلام) في كلامه. ودلالة التوازن تحقق سمات التأثير في المتلقي ورسوخ الفكرة في الذهن ، وله أساليب كثيرة في نهج البلاغة مثل التقابل وتوازن الفقرات السجعية وغير السجعية ، ولكن هذه المرة جرى من خلال الأبنية النادرة بأسلوب المصادر الميمية، وفي نهج البلاغة ثمة أسلوب مطرد في التعبير بالمصادر الميمية ، إذ غالبا ما يأتي لالتماس التوازن بين الفقرات في الكلام، مما يسبغ عليه مزيدا من المؤثرات الفنية ولاسيما الإيقاعية التي تستلذها النفس وتميل إليها، وتقبل عليها الأسماع أكثر ، الأمر الذي يحقق غايتين : الإبلاغ والتأثير وهما غاية الخطيب ، فالخطابة تعني فن الإقناع(٧٧) وهو لا يكون بدونهما.

والأمثلة على ذلك كثيرة ، نحو قوله (عليه السلام) لابنه محمد بن الحنفية: " يا بني إني أخاف عليك الفقر، فاستعذ بالله منه، فإن الفقر منقصة للدين، مدهشة للعقل " (٧٨) . فما بين (منقصة ومدهشة) توازن موسيقي محبوب بين الفقرات لافت للانتباه .

وقوله: "عباد الله ، إنه ليس لما وعد الله من الخير مترك ، ولا فيما نهى عنه من الشر مرغب " (٧٩). ومترك ومرغب مصدران ميميان أسبغا على الكلام ثراء إيقاعيا يستسيغه السامعون ، لاسيما حين يأتي في الأسلوب الخطابي المباشر الذي تشير إليه جملة النداء (عباد الله) ، ولا ننسى أن (مرغب) من المشترك اللفظي الذي ينماز بـ (في) و (عن) وقد ترك الإمام ذكر أحدهما لأن السياق فاصل في تحديد (في) ، وهذا ما خدم الإيقاع وأثراه .

ومثله قوله (عليه السلام) ناصحا: " واعلموا أن يسير الرياء شرك، ومجالسة أهل الهوى منساة للإيمان . ومحضرة للشيطان . جانبوا الكذب فإنه مجانب للإيمان . الصادق على شرف منجاة وكرامة . والكاذب على شفا مهواة ومهانة " (٨٠) . ففضلا عن ثبات المعنى في المصادر المبتدئة بحرف الميم ، نلحظ سيادة الشاعرية باستعمال هذا الأسلوب الفني العفوي الذي يدل على احتراف منقطع النظير لاستعمالات اللغة ومعرفة الإفادة من مكامن طاقتها. فقد وازن بين (منساة و محضرة) وبين (منجاة ومهواة) .

وهو أيضا يجيء ضمن الخطاب الشفاهي وأعني به الخطب لما له من تأثير بيّن على السامعين ومن هنا يفهم توخيه لأن الغاية من ذلك كله ليست الإيقاع النغمي بل الإقناع.

ومن خطبة له (عليه السلام) جاء قوله (عليه السلام) لما غلب أصحاب معاوية أصحابه (عليه السلام) على شريعة الفرات بصفين ومنعوهم من الماء: ((قد استطعموكم القتال، فقروا على مذلة ، وتأخير محلة)) (٨١) . فهذا اللون من التعبير الفني أدعى إلى إلهاب الحمية في النفس وبث الحماسة فيها. ولاحظ كيف يستفز الإمام فيهم ما ذكرنا بقوله بأسلوب الأمر المجازي (فقروا) .

وقد يعمد الإمام في تعبيراته بهذا الأسلوب إلى الميل إلى بناء الفعل على وزن (مفعل ومفعلة) وجمعهما لتحقيق مزيد من الثراء الموسيقي اللافت للانتباه، وهو ثراء ناتج عن المعنى بشكل لصيق كما نؤكد دائما، مثل قوله في ذكر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): ((مستقره خير مستقر . ومنبته أشرف منبت . في معادن الكرامة ، ومماهد السلامة)) (٨٢) . فقد جاء بالجمع (معادن ومماهد) التماسا للتوازن على الرغم من أن هذا الجمع(مماهد) ليس مستعملا فيفردة مهد بل مهاد .

ومنه خطبة له (عليه السلام) قال: " واتقوا مدارج الشيطان ومهابط العدوان" (٨٣)، وقال في موضع آخر : " وأحمد الله وأستعينه على مداحر الشيطان ومزاجره " (٨٤)، على أن هذا لا يكون عند الإمام على حساب المعنى وتكلفا لهذا التوازن ، بل هو يأتي منسجما مع المعنى ومتناغما معه ، فقد يعدل الإمام من حال التوازن إلى المخالفة لغرض يقتضيه المعنى ، ففي قوله يصف الدنيا : "أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا أَدْبَرَتْ وَآذَنَتْ بِوَدَاعٍ وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ وَغَداً السِّبَاقَ وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ وَالْغَايَةُ النَّارُ أَفَلَا تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ .... " (٨٥) ، فقد قال السبقة الجنة ولم يقل السبقة النار، لأن الاستباق إنما يكون لأمر محبوب ، وغرض مطلوب ، وهذا يتناسب مع الجنة ولا يتناسب مع النار التي تكون مفزعا عند الجميع(٨٦).

وخلاصة القول فإن المفردة في كلام الإمام اتخذت الميزات الآتية :

الدقة ، الإيحاء ، اقتباسها من القرآن سواء في اقتباسها الصريح أم اقتباس الاستعمال القرآني لها أم نقلها من محيطها القرآني إلى موقف فني جديد (٨٧) .

المبحث الثالث

المستوى التركيبي

يكاد أن يجمع العلماء على أن النظم المتقن هو سر الكلام المبدع ، فقد حددوا مجال الإعجاز في النص القرآني في ذلك الأداء البياني ، لا سيما في البناء الجملي المتقن على وفق النظام اللغوي وطرائقه ، فللعلاقات التي تنتظم على وفقه تكمن أسرار الإبداع وتفجر الطاقات اللغوية ، فضلا عن التوخي الأمثل لمعاني النحو ، ولا يعني هذا أننا بالإمكان أن نأتي بجمل متناسخة في قوة أدائها التعبيري المؤثر من دون فوارق ، لأن مآل ذلك إلى المستعمل نفسه ، واختلاف الموقف ، ومن هنا يختلف الكلام من منشئ إلى آخر.

وبالرغم من صعوبة تحديد مواطن الإبداع في استعمالات الإمام للجملة وعموم التراكيب ، فان جل الدارسين بيّنوا أن جمل الإمام تمتاز بأنها تحلت بجلابيب الجمل القرآنية فقد استطاع الإمام أن يركّب جمله من خلال ما علَقَ في ذهنه من جماليات النص القرآني ، إذ امتاز الإمام بقدرته العالية على استحضار النص القرآني مع إمكانيته في التصرف بالجملة القرآنية وإعادة صياغتها بما ينسجم مع غايات المنشئ ، ولا أريد هنا ضرب الأمثال ولا إحضارها لأن دراسة الأثر القرآني قد فصلت القول في هذا بما يحقق الغاية(٨٨)، ولهذا فمضمون الجمل عند الإمام قرآني بما لا يقبل الشك ، فتأثر الإمام بالقرآن وأخذ صورا في أقواله ، فهو يُعيد صياغة الجملة القرآنية مرة ، وأخرى يبني فيها الجمل على نهج الطريقة القرآنية ، لأنه قد فَهِم الأسلوب القرآني بدقة .

ولا يقتصر البناء الجملي على ما حدده اللغويون في أن تتضمن الجملة وهي أصغر بناء تركيبي المسند والمسند إليه ، وما سواها الفضلة التي لا يعتد بوجودها ، أو بأدق التي لا يتوقف وجود الجملة وصحتها عليها ، وإنما الجملة التي نتحدث عنها عند الإمام هي جميع ما نطقه الإمام وأحضره في كلامه ليحقق المعنى بأوضح تجلياته وأدقها ، ولهذا فإن المتذوق لنصوص الإمام لابد له أن يراها بنظرة متكاملة قبل الشروع في تجزئتها ، حتى لا تفوته براعة الإمام في تصيير اللغة ذلك الوعاء الرحب الأنيق في نقل الأفكار والمعاني ، مقتديا ومتأثر بالقرآن العظيم الذي أعجز أسلوبه العرب بما كانوا يمتلكونه من مهارات في فن القول .

لهذا فإن ما سماه النحاة بالفضلة أو القيد أو التكملة أو متعلقات الجملة ولواحقها ركائز أساسية في بناء الجملة على صعيد المعنى على عد أن الجملة أصغر وحدة كلامية يحسن السكوت عليها ، شأن الفضلة في ذلك شأن المسند والمسند إليه ، إذ قد " تتحول الفضلة إلى عُمْدة في الكلام لأمر بلاغي، وتصبح مسنداً إليه كما هو عليه بعد بناء الفعل للمجهول كقولنا قُرِئَ الكتابُ.. فالكتاب صار مسنداً إليه حين بني الفعل للمجهول بعد أن كان فضلة قبل بنائه للمجهول: قرأ زيد الكتابَ ... فمتعلقات المسند أو المسند إليه من الكلام الزائد لا يكون لمجرد زيادته وإنما لغاية معنوية وبلاغية، ولعل الأدباء يتمايزون بمدى قدرتهم على توظيف الفضلة في صورهم الجمالية " (٨٩).

لقد حدد الدارسون مظاهر الجمل عند الإمام بمظهرين رئيسين هما الجملة القصيرة التي تمثل الأسلوب الأكثر شيوعا عند الإمام ، والجملة الطويلة التي كانت ميزة عند الإمام متأثرا في هذا وذاك بالقرآن الكريم ، يقول الدكتور عباس الفحام يبدو التأثير القرآني في بحث الجملة عند الإمام (عليه السلام) في شكل الطريقة التي انتهجها كلما توخى التعبير الفني ، فهو يعمد إلى تفجير طاقات اللغة بكل مستوياتها البنائية في مجال نظم الجملة للإحاطة بالمعنى . وقوة العلاقات القائمة بين عناصر الجملة وبين مستويات اللغة ، هي في اكتشاف مصادر القوة لتكوين الجمل وتركيبها الفني (٩٠) .

ففي وصف الإمام المنافقين في خطبة له نجد ذلك التأثر البيّن والعميق بالنص القرآني ، يقول (عليه السلام) : ((وأُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ ، فَإِنَّهُمُ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ وَالزَّالُّونَالْمُزِلُّونَ ، يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً وَيَفْتَنُّونَ افْتِنَــاناً ، وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ وَيَرْصُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ..)) (٩١)، ونلحظ هنا تنوع استعمال الإمام للجمل الفعلية والاسمية ، فقد استعمل الجمل الاسمية في مواطن بيان حقيقة المنافقين والحال التي عليها وما جال في أنفسهم ((فإنهم الضالون المضلون)) لما في الاسم من دلالة الثبوت ، وحين صور الإمام طبائعهم المتلونة والمتغيرة عمد إلى الجملة الفعلية لتحقيق ذلك ، لما في الفعل من دلالة التجدد والحدوث.

وقد يعمد الإمام إلى أسلوب التقديم والتأخير في تحقيق المراد من المعاني بأسلوب فني يفجر من خلاله الطاقات الكامنة في الألفاظ من خلال هندستها فنيا داخل لوحاته التي تملك الناظر وتأسره ، وقد يقصد وسيلة أخرى في تحقيق ذلك ، كأن يحذف من الجملة ما يعطيها سعة تنسجم والمعنى الذي سعى إليه أو أن يذكر في الجملة ما أن وجوده

أولى للمعنى ، وقد يعمد الإمام إلى الاعتماد على أساليب الكلام المعروفة لإكمال لوحته القولية وليملك السامع ببديع قوله ، كالاستفهام والأمر وغيرهما .

الجملة الطويلة :

هي الجمل التي تكتنف أكثر من أسلوب نحوي في بنائها ، بمعنى آخر هي الجمل التي تستطيل بجمل قصيرة تتخذها عناصر لها فتمتد إلى مسافة قولية طويلة(٩٢).وهي اصغر وحدة نصية بعد الجملة العادية ..وهي لون آخر من ألوان الجملالقرآنية، أخذت الوسائل الآتية في بنائها :

الشرط .

التوكيد بإنّ .

النداء .

القسم .

فمن جملة الشرط في كلام الإمام الذي أنشأ فيه الجملة الطويلة قوله : " إِذَا رَجَفَت الرَّاجِفَةُ وَ حَقَّتْ بِجَلَائِلِهَا الْقِيَامَةُ ، وَ لَحِقَ بِكُلِّ مَنْسَكٍ أَهْلُهُ وَ بِكُلِّ مَعْبُودٍ عَبَدَتُهُ ، وَ بِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ ، فَلَمْ يُجْزَ فِي عَدْلِهِ وَ قِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ خَرْقُ بَصَرٍ فِي الْهَوَاءِ ، وَ لَا هَمْسُ قَدَمٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ ، فَكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضَةٌ " (٩٣).

نلحظ في النص أن جملة الشرط المكونة من فعل الشرط (رجفت) وجوابه (فكم حجة يوم ذاك داحضة) وما بينهما مسافة قولية ضمت ما بين الفعل وجوابه جملا معطوفة وأسلوبا للنفي والاستثناء في قوله: (فلم يجز ...إلّا بحقه) بعدها جاء جواب الشرط متأخرا . " ولاريب ، إن في ذاك تشويقا وانشدادا للسامعين يحملهم على الترقب والتطلع لمعرفة جواب الشرط خاصة وأن أسلوب الشرط يحمل معه عنصر المفاجأة للسامع ... ولا شك في أن بناء الجملة بهذا الامتداد الطويل يتطلب مهارة فائقة في القدرة على الربط بين الجمل القصيرة بحيث يضيف مزيدا من الثراء اللغوي ، كما أنه أقدر على بسط المزيد من المعاني من خلال الإكثار من أساليب البناء الجملي "(٩٤).وهو في هذا يحاكي النص القرآني في سورة التكوير .

وفي نهج البلاغة من هذا الاسلوب في بناء الجمل الطويلة القائمة على أسلوب الشرط ما هو كثير ، يقول الإمام (عليه السلام) في التوحيد : " حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ، وَ

الْأَمْرُ مَقَادِيرَهُ ، وَ أُلْحِقَ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ ، وَ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا يُرِيدُهُ ، مِنْ تَجْدِيدِ الْخَلْقِ ، أَمَادَ السَّمَاءَ وَ فَطَرَهَا " (٩٥). فجاء جواب الشرط (أماد السماء) متأخرا بعد ثلاث جمل متعاطفة ، خلقت عند السامع شغفا في معرفة ما سيقوله المتكلم .

وقوله (عليه السلام) يصف منازل الموت : " فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ الْمَحْمُودَةِ ، وَ مَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةِ ، وَ قَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ أَعْمَالِهِمْ ، وَ فَرَغُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَ كَبِيرَةٍ أُمِرُوا بِهَا فَقَصَّرُوا عَنْهَا أَوْ نُهُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا ، وَ حَمَّلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ ، فَضَعُفُوا عَنِ الِاسْتِقْلَالِ بِهَا ، فَنَشَجُوا نَشِيجاً وَ تَجَاوَبُوا نَحِيباً ، يَعِجُّونَ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامِ نَدَمٍ وَ اعْتِرَافٍ ، لَرَأَيْتَ أَعْلَامَ هُدًى" (٩٦). فالمسافة ممتدة متطاولة بين(لو) وجوابها، أتاحت خلالها بسط مزيد من المعاني في تفاصيل الحساب ، ويبدو للتعاطف بين الجمل القصيرة أثر بيّن في إمتدادالجملة الطويلة حتى انتهت بالجواب بعد حين : (لرأيت أعلام هدى) ، أي شوق وترقب أحدثه الإمام في ذلك حتى يشد المستمعين إلى كلامه ، ولا يفوتنا القول أن أسلوب الشرط أو بناء الجملة الطويلة يحتاج أمرين مهمين أحدهما الثراء اللغوي والثاني القابلية الذهنية فضلا عن الذوق السليم في تناسب ذلك مع المقام ، وكل ذاك قد انجمع في عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) .

التوكيد بـ(إنّ)

تطول الجملة عند الإمام في مواطن من كلامه عند استعماله أسلوب التوكيد بـ(إنّ) من ذلكقوله :" .. وَ إِنَّ تَعَاطِيَكَ الْغَارَةَ عَلَى أَهْلِ قِرْقِيسِيَا ، وَ تَعْطِيلَكَ مَسَالِحَكَ الَّتِي وَلَّيْنَاكَ ـ لَيْسَ بِهَا مَنْ يَمْنَعُهَا وَ لَا يَرُدُّ الْجَيْشَ عَنْهَا ـ لَرَأْيٌ شَعَاعٌ " (٩٧).

ويقول (عليه السلام) في وصية لولده الحسن :" غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هَمُّ نَفْسِي ، فَصَدَّقَنِي رَأْيِي وَ صَرَفَنِي عَنْ هَوَايَ ، وَ صَرَّحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي ، فَأَفْضَى بِي إِلَى جِدٍّ لَا يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ ، وَ صِدْقٍ لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ وَجَدْتُكَ بَعْضِي ، بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي "(٩٨).وهو يحاكي ما جاء في القرآن ، من ذلك قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ

وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ (٩٩).

فقد فصل بين اسم (إن) وهو (الذين يكفرون بآيات الله ورسله) وخبرها (اولئك هم الكافرون حقا) بجمل كثيرة معطوفة أتاحت مساحة أكبر لبسط المعنى المراد في الآية الكريمة فقد ترك تنويع صلة الموصول بذكر صفات الكافرين تشويقا لمعرفة خبر (إن) (١٠٠).

وجاء قوله تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ ﴾ على وجه التأكيد ، " لئلا يتوهم متوهم أن قولهم (نؤمن ببعض) يخرجهم من جنس الكفار ويلحقـــهم بالمؤمنين " (١٠١).

جملة النداء

وردت جمل طويلة بأسلوب النداء عند الإمام (عليه السلام) ، من ذلك قوله في الدعاء لما عزم على القتال بصفين : " اللَّهُمَّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ وَ الْجَوِّ الْمَكْفُوفِ ، الَّذِي جَعَلْتَهُ مَغِيضاً لِلَّيْلِ وَ النَّهَارِ ، وَ مَجْرًى لِلشَّمْسِ وَ الْقَمَرِ وَ مُخْتَلَفاً لِلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ ، وَ جَعَلْتَ سُكَّانَهُ سِبْطاً مِنْ مَلَائِكَتِكَ ، لَا يَسْأَمُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ ، وَ رَبَّ هَذِهِ الْأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَاراً لِلْأَنَامِ ، وَ مَدْرَجاً لِلْهَوَامِّ وَ الْأَنْعَامِ ، وَ مَا لَا يُحْصَى مِمَّا يُرَى وَ مِمَّا لَا يُرَى ، وَ رَبَّ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلْأَرْضِ أَوْتَاداً ، وَ لِلْخَلْقِ اعْتِمَاداً إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا ، فَجَنِّبْنَا الْبَغْيَ وَ سَدِّدْنَا لِلْحَقِّ ، وَ إِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ " (١٠٢). وهو في هذا يقتفي أثر القرآن الكريم في قوله تعالى :﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ ﴾(١٠٣).

جملة القسم

سمة أخرى في جمل الإمام الطويلة وجود القسم فيها لغرض معروف في الكلام العربي وهو التوكيد والقوة في الكلام ، و في التعبير القرآني سمة أسلوبية ظاهرة فقد

أقسم القرآن بالحيوان والظواهر الطبيعية المختلفة ، ومنه قوله تعالى :﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ (١٠٤). تأخر جواب القسم في قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا } بعد سبع آيات مما يعطي قدرة كبيرة على التأثير في المتلقي .

ومما ورد عند الإمام ما جاء في خطبته الشقشقية :" أَمَا وَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَ بَرَأَ النَّسَمَةَ ، لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَ قِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ ، وَ مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ ، أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَ لَا سَغَبِ مَظْلُومٍ ، لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا ، وَ لَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا ، وَ لَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ"(١٠٥). فقد جعل جواب القسم بكامل جملة (لولا) ، وفلق الحبة أخذه من قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ ﴾ (١٠٦).وهو أسلوب خطابي يخلق التشوق والمتابعة لكلام الخطيب لطالما اعتمده الإمام في خطبه .

الخاتمة

وبعد هذه الدراسة في رحاب كلام أمير المؤمنين أردت أن أوجز أهم ما حققته الدراسة من نتائج :

- لا يُنكر أحدٌ أن كلامَ الإمام عليّ (عليه السلام) كلامٌ يمثّل أصدقَ تجليات الإبداع ولهذا أسبابه التي توجز بالآتي :

١. لم تكن روحه قد أصابها درن العقائد الإلحادية أو غير العقيدة التوحيدية من قبلُ ، فتقبّلت الإسلام بلهفة وإخلاص .

٢. تربّى فتى بني هاشم في بيوت الفصاحة والبلاغة وفي قبيلة الفصاحة والبلاغة ، وفي كنف أفصح من نطق بالضاد ، فتعلم خصاله وشمائله واكتسب من منطقه ما اكتسب ، فقد كان للأثر النبوي ظهور بيّن في كلامه ، كما خَبِرَ الإمام علي التراث العربي ووعاه فأخذ منه اليسر مما تتطلبه دواعي القول لديه واكتفى بالنبع الذي لا ينضب ألا وهو القرآن الكريم .

٣. تَتلْمذ في أعظم مدرسة في التأريخ (مدرسة القرآن) ، والقرآن الكريم كان في ضميره وسلوكه ، وعى معانيه وأدرك أسراره ، وكان من السبّاقين إلى حفظه وجمعه ، أثر ذلك بكلام الإمام بشكل واضح وكبير .

٤. المواقف والتجارب التي مرت به فجعلته خبيرا بالدنيا وأهلها ، فلا تجد أبرع منه في توصيف دقائق الأمور وأعاظمها ..... أمور لم تجتمع فيغيره جعلته المُفوّه الذي لا يُجارى والخطيبَ الذي لا يُشق له غُبار.

- كان انتقاء أمير المؤمنين للكلمات والعبارات في خطبه وعموم كلامه مدروسا ومنظّما بشكل يخدم المعنى والموقف في آن واحد بلا تكلف أو تزويق مخل وقد حقّق الإمام في ذلك التوازن والتنغيم من خلال الأسجاع اللطيفة والتكرار الجميل أو من خلال المقابلة والطباق ، بما يخلق لدينا أدبا رفيعا عاليا .
- شهدت المفردة اللغوية في كلام أمير المؤمنين انتقاءً ينمّ عن فطنة وذكاء ، وعن دراية باللغة ومكنوناتها ، فاتسمت مفرداته بالدقة والإيحاء واقتباسها من القرآن سواء في اقتباسها الصريح أم اقتباس الاستعمال القرآني لها أم نقلها من محيطها القرآني إلى موقف فني جديد .
- كانت تراكيب خطب أمير المؤمنين ورسائله تتسم بالتوظيف اللغوي المتقن من خلال استغلاله لطاقات اللغة وخاصة طاقات التركيب ليحقق غاياته القولية التي جعلت من كلامه بأعلى سمات الفصاحة والبلاغة ، وكانت سمت الجمل الطويلة من أدلّ سمات كلامه وأبينها ، خالقة التشويق والتلذذ والمتابعة لدى المتلقي .

والحمد لله ربّ العالمين

هوامش البحث

١)ينظر :شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد ، ١ / ٢٤ .

٢) تأريخ الطبري : الطبري ، ٢ / ٢١٣ ، وينظر شرح نهج البلاغة ، ١٣ / ١٩٩ .

٣) شرح نهج البلاغة ،١ / ٢٤ .

٤) المصدر نفسه ،١٣ / ١٩٧.

٥) المصدر نفسه ، ١٣ / ١٩٧.

٦) ينظر : خصائص أمير المؤمنين : النسائي ١٣١ ، والأثر القرآني في نهج البلاغة : عباس الفحام ٣٠.

٧) شرح نهج البلاغة ١ / ٢٨، والأثر القرآني في نهج البلاغة : عباس الفحام ٣٠.

٨) نهج البلاغة ،١٣ .

٩) المصدر نفسه ، ١٤ .

١٠) شرح نهج البلاغة ١٨ / ٢٣٠ ، البيان والتبيين ، ١ / ٢٦ .

١١) البيان والتبيين ، ١ / ٢٦ .

١٢) شرح نهج البلاغة ١٨ / ٢٣٠ .

(١٣) الدخان : ٢٥-٢٩

(١٤) شرح نهج البلاغة ، ٣ / ٢٠٢ ، وينظر : وقعة صفين : نصر بن مزاحم : ١٤٢ ، والأثر القرآني في نهج البلاغة : عباس الفحام ٣١

(١٥) ينظر : الأثر القرآني في نهج البلاغة : عباس الفحام ٣٢

(١٦) ينظر : الخصائص الفنية لأدب الإمام علي (عليه السلام) : عناد غزوان ، ١٤ .

(١٧)ينظر : بلاغة الإمام علي ، الدكتور أحمد محمد الحوفي ، ١٦ ــ ٢٧ ، أثر كلام اٌمام علي في النثر العربي : ٧٥ ــ ١١٦، ،الأثر القرآني في نهج البلاغة : عباس الفحام ٣٢

(١٨) شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد : ٢ / ١٨٧

(١٩) ينظر : مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب : أمين الخولي: ٢٦٧ ، وجرس الألفاظ : ماهر مهدي هلال:٢٨٥ .

(٢٠)ينظر: طرق تنمية الألفاظ : إبراهيم أنيس: ٥ .

(٢١) ينظر : النقد اللغوي عند العرب : نعمة رحيم العزاوي: ٢٣١ .

(٢٢) أسس النقد الأدبي عند العرب :أحمد أحمد بدوي: ٤٥٥ .

(٢٣) الصناعتين : أبو هلال العسكري: ١٧ .

(٢٤) النكت في أعجاز القرآن علي بن عيسى الرماني : ٧٢ .

(٢٥) نفسه: ٨٨ .

(٢٦) ينظر سر الفصاحة ابن سنان : ٥٤ .

(٢٧) ينظر المصدر نفسه : ٥٥ .

(٢٨) ينظرالطراز : العلوي ، ١ / ١٠٩ .

(٢٩)أبنية المشتقات في نهج البلاغة ،٦٤ .
(٣٠) ينظر :أبنية المشتقات في نهج البلاغة ، ٦٧.
(٣١) المصدر نفسه ، ٦٧.
(٣٢) شرح نهج البلاغة ٩ / ١٣٧ .
(٣٣)ينظر: أبنية المشتقات في نهج البلاغة ، ٧٠ .
(٣٤) شرح نهج البلاغة ٩ / ١٣٨ .
(٣٥) المصدر نفسه : ١١/ ٥١ .
(٣٦) ينظرأبنية المشتقات في نهج البلاغة ، ٧٠ .
(٣٧) شرح نهج البلاغة ، ١١ / ٥١ .
(٣٨) المصدر نفسه ، ٦ / ١٠٢ .
(٣٩) شرح نهج البلاغة: ١٠ / ٨١ .
(٤٠)ينظر :أبنية المشتقات في نهج البلاغة ، ٧٧ .
(٤١) شرح نهج البلاغة: ٧ / ٨١ .
(٤٢) نفسه: ١٣ / ٢٠٥ .
(٤٣) ينظر:أبنية المشتقات في نهج البلاغة ، ٧٧.
(٤٤) ينظر الأسس النفسية لأساليب البلاغةالعربية : ٧٦ . وينظر : أبنية المشتقات في نهج البلاغة ، ٧٧
(٤٥) ينظر قواعد النقد ألادبيلاسلآبر كروبي: ٤١ ـ ٤٢ . وينظر : أبنية المشتقات في نهج البلاغة ، ٧٧
(٤٦) النقد والبلاغة: ٢/ ١٦ .وينظر : أبنية المشتقات في نهج البلاغة ، ٧٧
(٤٧) التصوير الفني في خطب الإمام علي ، عباس علي الفحام : ١٣٧ .
(٤٨) نهج البلاغة تحقيق د. صبحي الصالح : ١٦-١٧ .
(٤٩) نهج البلاغة.، تحقيق محمد عبده، ج٢٢١/١.
(٥٠) ظ : المهذب في علم التصريف: ٢٣٢، التطبيق الصرفي ، عبده الراجحي: ٦٦.
(٥١) ظ : شرح الشافية ١٦١/١
(٥٢) ظ. معاني الأبنية في العربية، فاضل السامرائي: ٣٩-٤٠.
(٥٣) ظ. شرح الشافية ١/ ١٦٢ ، معاني الأبنية في العربية٦٧.

(٥٤) منهاج البراعة ، حبيب الخوئي : ١١٨/١
(٥٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢٤٧/٧.
(٥٦) لسان العرب ، ابن منظور: ٢٩٠/٨
(٥٧) ظ. لسان العرب : ٣٧٤/٨، منهاج البراعة ١ / ١٢٥
(٥٨) فنون الأدب ، تشارلتون : ٣٦.
(٥٩) ينظر مثلا سورة : الحديد : ٢٠ ، يونس : ٢٤
(٦٠) الأثر القرآني في نهج البلاغة ، عباس الفحام : ١٩٧ ، ١٩٨.
(٦١) ينظر: شرح الشافية : ١/ ١٨١ ، معاني الأبنية في العربية، السامرائي: ٧٢.
(٦٢) ينظر المهذب: ٣٠٤ ، المنهج الصوتي: ١١١.
(٦٣) ينظر: التطور النحوي: ٦٧ ، معاني الأبنية في العربية : ٣٨.
(٦٤) ينظر: شرح ابن عقيل : ٣/ ١٣٣ ، المهذب : ١٨٦ .
(٦٥) نهج البلاغة : ٣٣.
(٦٦)البخلاء، الجاحظ: ٦٩ ، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : ١ / ١٩٧ .
(٦٧) مقاييس اللغة، ابن فارس: ١٩٣/٢
(٦٨) نهج السعادة ،الشيخ المحمودي : ٣٦٠/٢.
(٦٩) ينظر: شرح نهج البلاغة،الحائري: ١١٦/٢٠ ،منهاج البراعة : ١ .
(٧٠)ينظر: لسان العرب : ٥ /٢٤٩ (هتر) ، تاج العروس : ٢١٢/١ (شرب) .
(٧١)شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد ، ٢ / ٧٥ .
(٧٢) لسان العرب : ١٢/ ٦١٩ (همم) .
(٧٣) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد : ٢ / ٨٠ ، بهج الصباغة، التستري : ٢٢ .
(٧٤) نهج البلاغة ١٤٣ .
(٧٥)نهج البلاغة ٨٩.
(٧٦) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد: ١٠ / ١٠١
(٧٧) الخطابة ، أرسطو : ٩
(٧٨) نهج البلاغة : ٤/ ٧٦
(٧٩)المصدر نفسه : ٥٢/٢
(٨٠)المصدر نفسه : ١٥٠/١-١٥١

(٨١) المصدر نفسه: ١٠٠/١

(٨٢) نهج البلاغة ٤١.

(٨٣)المصدر نفسه : ٣٩/٢

(٨٤)المصدر نفسه: ٣٧/٢ .. ولمزيد من التفصيل والأمثلة ينظر بحثنا مع الدكتور عباس الفحام : دلالة الأبنية النادرة في نهج البلاغة .

(٨٥)شرح نهج البلاغة ، ٢ / ٩١ .

(٨٦) ينظر: المصدر السابق ، ٢ / ٩٢ .

(٨٧) ينظر: الأثر القرآني في نهج البلاغة ، ٤٩ وما بعدها .

(٨٨)ينظر: المصدر نفسه، ١٠٤ وما بعدها .

(٨٩) في جمالية الكلمة ، حسين جمعة :٧٣ ،ينظر: الأثر القرآني في نهج البلاغة ، ١١٤ .

(٩٠) ينظر: الأثر القرآني في نهج البلاغة ، ١١٤ .

(٩١) نهج البلاغة ١/ ٤٤٩ ، وينظر: الأثر القرآني في نهج البلاغة ، ١١٥ .

(٩٢) ظ : الجملة الطويلة في القرآن ، علي ناصر ، ، (بحث) في مجلة مركز دراسات الكوفة ، الإصدار الثاني لسنة ٢٠٠٤ ، الصفحة٢٣ .

(٩٣) نهج البلاغة : ٤٥/٢

(٩٤) الأثر القرآني :١٥٢ .

(٩٥) نهج البلاغة : ٢٥٢/١

(٩٦) نهج البلاغة : ٤٢/٢

(٩٧) المصدر نفسه : ٢٧٥/٢

(٩٨) المصدر نفسه : ١٨٠/٢

(٩٩) النساء : ١٥٠-١٥١

(١٠٠) ينظر الأثر القرآني ، ١٥٣ .

(١٠١) مجمع البيان : ١٣٢/٣

(١٠٢) نهج البلاغة : ٤٠٦/١

(١٠٣) آل عمران : ١٩١-١٩٤

(١٠٤) الشمس : ١-١٠

(١٠٥) نهج البلاغة : ٣٤/١

(١٠٦) الأنعام : ٩٥

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- أبنية المشتقات في نهج البلاغة دراسة دلالية ، ميثاق علي عبد الزهرة الصيمري، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ٢٠٠٢ م .
- الأثر القرآني في نهج البلاغة، الدكتور عباس علي الفحام،مطبعة الرافدين، الطبعة الأولى، بيروت ، ٢٠١٠م .
- أثر كلام الإمام علي في النثر العربي حتى نهاية القرن الثاني للهجرة الحسن البصري وابن المقفع إنموذجا ، ضياء طعمة عبد الحسين الطالقاني ، الطبعة الأولى ، مؤسسة علوم نهج البلاغة ، كربلاء ، ٢٠١٦ م .
- الأسس النفسية لأساليب البلاغةالعربية ،الدكتور مجيد عبد الحميد ناجي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٨٤ م .
- أسس النقد الأدبي عند العرب ،أحمد أحمد بدوي ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٩٦ م .
- البخلاء، الجاحظ ، تحقيق طه الحاجري ، دار المعارف .
- بلاغة الإمام علي ، الدكتور أحمد محمد الحوفي ، نهضة مصر للطباعة،القاهرة ، ٢٠٠٠ م .
- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، محمد تقي التستري.دار أمير كبير للنشر ، طهران ، الطبعة الأولى- ١٣٧٦ق .
- البيان والتبيين ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، الطبعة الخامسة ، ١٩٦٩ م .
- تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، دار الفكر، بيروت ، ١٩٩٤م .
- التصوير الفني في خطب الإمام علي ، عباس علي الفحام ، مؤسسة دار الصادق الثقافية ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٢ م .
- التطبيق الصرفي ، الدكتور عبده الراجحي ،الطبعة الأولى ، دار المسيرة ،الأردن،٢٠٠٣ م .
- جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ،الدكتور ماهر مهدي هلال ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠ م .
- الجملة الطويلة في القرآن ،علي ناصر ، ، (بحث) في مجلة مركز دراسات الكوفة ، الإصدار الثاني لسنة ٢٠٠٤ .

- الخصائص الفنية لأدب الإمام علي (عليه السلام) : عناد غزوان ، (مقال) مجلة البلاغ ، المقال محمل على موقع المكتبة المتخصصة بالإمام أمير المؤمنين على شبكة الإنترنيت .
- الخطابة ، أرسطو طاليس ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .
- شرح ابن عقيل، بهاء الدين الهمداني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة عشر، مطبعة المكتبة التجارية – مصر، ١٩٦٤م.
- شرح شافية ابن الحاجب ، للأستراباذي النحوي، تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي عبد الحميد. دار الكتب العلمية ، بيروت- ١٩٧٥م.
- شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء التراث العربي ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .
- شرح نهج البلاغة، السيد محمد كاظم ابن المرحوم آية اللّه السيد محمد ابراهيم القزويني الموسوي الحائري، ضمن المكتبة الشاملة .
- تاريخ الطبري (تاريخ الملوك والأمم) ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، مراجعة لجنة من العلماء ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، لبنان .
- التطور النحوي للغة العربية ، برجشتراستر ، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب ، مطبعة المجد .
- خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق حمزة النشرتي وآخرون ، الطبعة الثانية .
- الصناعتين الكتابة والشعر ،أبو هلال العسكري ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٢ م .
- سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، تحقيق عبد المتعال الصعيدي ، مطبعة محمد علي صبيح ، مصر ، ١٩٥٣ م .
- طرق تنمية الألفاظفي اللغة ، إبراهيم أنيس ، مطبعة النهضة الجديدة ، ١٩٦٧ م .
- فنون الأدب، هـ. ب. تشارلتن ، ترجمة: زكي نجيب محمود،، القاهرة ١٩٤٥م.
- في جمالية الكلمة دراسة جمالية بلاغية نقدية ، حسين جمعة ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٢ م .
- قواعد النقد الأدبي ،لاسلآبر كروبي ، ترجمة الدكتور محمد عوض محمد مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الثانية ، ١٩٤٤ م .

- لسان العرب ،جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور المصري(ت ٧١١هـ).دار صادر ،بيروت ، لبنان ، ١٩٥٥م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن ،، الفضل بن الحسين الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) .حقق وعلق عليه : لجنة من العلماء والمثقفين ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٥م .
- معاني الأبنية في العربية، فاضل السامرائي ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، الطبعة الأولى ، ١٩٨١ م .
- مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ،١٩٧٩م.
- مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب : أمين الخولي، دار المعرفة ، الطبعة الأولى ، ١٩٦١ م .
- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، حبيب الله الخوئي ، المكتبة الإسلامية ، الطبعة الرابعة ، طهران ، ١٤٠٥ ق .
- المنهج الصوتي للبنية العربية ، رؤية جديدة في الصرف العربي ، الدكتور عبد الصبور شاهين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- المهذب في علم التصريف ، الدكتور هاشم طه شلاش ، وآخرون ، مطبعة التعليم العالي ، الموصل .
- النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري،الدكتور نعمة رحيم العزاوي ،دار الحرية للطباعة ـ بغداد ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- النكت في أعجاز القرآن ،علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سلام ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٦ م .
- نهج البلاغة ، الدكتور صبحي الصالح ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٦٧ م .
- نهج البلاغة ، محمد عبده ، مطبعة بابل – بغداد ١٩٨٤م .
- نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة ،الشيخ محمد باقر المحمودي ، مطبعة النعمان ، الطبعة الأولى ، النجف الأشرف ، ١٩٦٥ م .
- وقعة صفين ،نصر بن مزاحمالمنقيري ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الطبعة الثانية ، المؤسسة العربية الحديثة ، القاهرة ، ١٣٨٢ ه .